هل كانت حتشبسوت صديقة للبيئة؟

بقلم :

د.م. نادر رياض

www.naderriad.com

ان المتأمل للوحات الجدارية الموجودة على جدران متحف حتشبسوت بالدير البحرى غرب الاقصر يقف مندهشاً لأنماط السلوك الذى حكم عصر تلك الملكة المتميزة ابنة الملك العظيم تحتمس الاول والتى تولت عرش مصر كوصية على ابن زوجها تحتمس الثالث طفلا من زوجة اخرى.

فبينما نرى فى لوحات اخرى تسجيلا لانتصار رمسيس الثانى على الحيثيين وايضاً على بلاد النوبة بكل ما تحويه لوحات الانتصار تلك من مظاهر بطش وتنكيل تنال اعداء البلاد على يد جيش ملك البلاد المنتصر ،وهو امر نستطيع ان نتفهمه وندرك ابعاده المعنوية التعبوية الموجهة للشعب للوقوف خلف ملك البلاد وجيشه بعد ان جسدتها تلك اللوحات لتظهر البطولة فى اجل معانيها.

واذا ما قلبنا هذه الصفحة لنصل عبر جيل واحد الى محطة حتشبسوت فإننا نرى ما يستحق الدهشة والاعجاب فى نفس الوقت فإن المشاهد يرى تلك الملكة العظيمة بعد ان تبوأت ملك مصر بعد وفاة زوجها تتحرك بأسطول سلمى فى زيارة لأرض النوبة قوامه اثنتان واربعون سفينة الاربع سفن الاولى منها صورت على هيئة سفن ملكية على خلاف باقى السفن التى لها سمات سفن نقل البضائع زخرت هذه السفن بأشجار وارفة جميلة حملتها حتشبسوت فى اسطولها لتهديها لحاكم النوبة بينما حملت سفنها الملكية نفائس من الهدايا تليق بأن تهدى من ملك لملك اخر.

وكم تزداد دهشتنا واعجابنا اذ نرى حاكم النوبة الذى يستقبلها استقبال الملوك وقد بدا بصورة رجل اسود الجلد مما ينم عن ان حتشبسوت برؤيتها التقدمية الانسانية رأت انه من الافضل والاجدى ألا تعيش النوبة المنهزمة تحت نير بطش المنتصر فى مذلة حتى لو كان هذا المنتصر هو مصر الفرعونية فى عهدها ،لذا فقد عينت للنوبة حاكما من ابنائها ليدير شئونها كأفضل من يحرص عليها وعلى ابنائها ولذا جاءت هذه الحفاوة فى استقبال الملكة حتشبسوت ملكة مصر العظيمة فى زيارتها لاحد البلاد التى ضمت فى ظروف حرب لتصبح احد الاقاليم التابعة للملكة المصرية دون ان يتسبب هذا الوضع فى بقاء حالة الاستنفار التى تعقب مثل هذه الحالات انتظاراً لقائد ثائر يسعى للقتال والاستقلال لهذا الاقليم وذلك بفضل حكمة هذه الملكة وبصيرتها الثاقبة فى شئون السياسة وايضاً الحرب والسلام.

اما ما عادت به هذه الملكة من اقليم النوبة لأرض مصر فهو امر مثير ايضاً فقد كانت حمولة هذه السفن بكاملها من اشجار ونباتات نادرة تزدهر فى ارض النوبة وتخلو منها ارض مصر.

وقد يعنى المحلل المدقق باستخلاص درسين من هذا المنهاج السلوكى الذى سلكته الملكة حتشبسوت استقاء مما هو موثق على جدران معبدها الامر الاول يخص البيئة باعتبار ان اقتناء الاشجار والنباتات النادرة ثقافة سلوكية لا يمكن ان تختص بها الادارة الملكية دون ان تمتد هذه الثقافة لتسود الشعب على امتداد الرقعة الزراعية كما ان اعتبار النباتات النادرة فى مصاف الهدايا النفيسة امر حضارى لا يمكن ان يكون منشؤه شخص الملكة بمحدوديته .اذ ان المنطق المتداول لابد وان يخص مجموعة عريضة من الشعب ليستوفى تقبل هذا السلوك بمعايير الاستحسان والتقدير العام.

اما الامر الثانى ،فإنما يخص اثر الحروب السلبى على البيئة وعكس هذا من اثر ايجابى لاستمرار السلام عبر القرون من واقع الرضا والتراضى والانضمام لدولة اكبر من منطلق حق المواطنة الكامل والمشاركة فى العمل الوطنى دون أى تفرقة للون والجنس والمنشأ والتوجه لتستمر تلك العلاقة المتوازنة المتكافئة عبر السنين دون أيه منغصات بين اطرافه ممن اصبحوا بفضل الملكة حتشبسوت ابناء لوطن واحد .وليت صراعات اليوم وحروبه تدار بمثل ما ادارت به الملكة حتشبسوت من حرص على البيئة ورعاية للزرع والضرع والانسان والحفاظ على قيم الكرامة والصحة وسعادة الفرد ورضاه بل وجودة الحياة على ارض الوطن وجميعها مترادفات لا تنفصل عن بعضها فى منظومة البيئة بمفهومها المتكامل والصحيح ،بمعنى ان كل صفة من تلك لها اثرها الايجابى على البيئة وغيابها له اثره السلبى على البيئة بدون ادنى شك.

بقلم د. م. نادر رياض

هل كانت حتشبسوت صديقة للبيئة؟

إن المتأمل للوحات الجدارية الموجودة على جدران متحف حتشبسوت بالدير البحرى غرب الأقصر، يقف مندهشاً لأنماط السلوك الذى حكم عصر تلك الملكة المتميزة، ابنة الملك العظيم تحتمس الأول والتى تولت عرش مصر كوصية على ابن زوجها تحتمس الثالث طفلا من زوجة أخرى.

فبينما نرى فى لوحات أخرى تسجيلاً لانتصار رمسيس الثانى على الحيثيين وأيضاً على بلاد النوبة بكل ما تحويه لوحات الانتصار تلك من مظاهر بطش وتنكيل تنال أعداء البلاد على يد جيش ملك البلاد المنتصر، وهو أمر نستطيع أن نتفهمه وندرك أبعاده المعنوية التعبوية الموجهة للشعب للوقوف خلف ملك البلاد وجيشه بعد أن جسدتها تلك اللوحات لتظهر البطولة فى أجلّ معانيها.

وإذا ما قلبنا هذه الصفحة لنصل عبر جيل واحد إلى محطة حتشبسوت فإننا نرى ما يستحق الدهشة والإعجاب فى نفس الوقت، فإن المشاهد يرى تلك الملكة العظيمة بعد أن تبوأت ملك مصر بعد وفاة زوجها، تتحرك بأسطول سلمى فى زيارة لأرض النوبة قوامه اثنتا وأربعون سفينة، الأربع سفن الأولى منها صورت على هيئة سفن ملكية على خلاف باقى السفن التى لها سمات سفن نقل البضائع. زُخرت هذه السفن بأشجار وارقة جميلة **حملتها حتشبسوت فى أسطولها لتهديها لحاكم النوبة، بينما حملت سفنها الملكية** نفائس من الهدايا تليق بأن تهدى من ملك لملك آخر.

وكم تزداد دهشتنا وإعجابنا إذ نرى حاكم النوبة الذى يستقبلها استقبال الملوك وقد بدا بصورة رجل أسود الجلد مما ينم عن أن حتشبسوت برؤيتها التقدمية الإنسانية رأت أنه من الأفضل والأجدى ألا تعيش النوبة المنهزمة تحت نير بطش المنتصر فى مذلة، حتى لو كان هذا المنتصر هو مصر الفرعونية فى عهدها، لذا فقد عينت للنوبة حاكما من أبنائها ليدير شئونها، كافضل من يحرص عليها وعلى أبنائها ولذا جاءت هذه الحفاوة فى استقبال الملكة حتشبسوت ملكة مصر العظيمة فى زيارتها لأحد البلاد التى ضُمت فى ظروف حرب لتصبح أحد الأقاليم التابعة للمملكة المصرية دون أن يتسبب هذا الوضع فى بقاء حالة الاستنفار التى تعقب مثل هذه الحالات انتظاراً لقائد ثائر يسعى للقتال والاستقلال لهذا الإقليم. وذلك بفضل حكمة هذه الملكة وبصيرتها الثاقبة فى شئون السياسة وأيضاً الحرب والسلام.

أما ما عادت به هذه الملكة من إقليم النوبة لأرض مصر فهو أمر مثير أيضاً، فقد كانت حمولة هذه السفن بكاملها من أشجار ونباتات نادرة تزدهر فى أرض النوبة وتخلو منها أرض مصر.

وقد يعنى المحلل المدقق باستخلاص درسين من هذا المنهاج السلوكى الذى سلكته الملكة حتشبسوت استقاه مما هو موثق على جدران معبدها، الأمر الأول يخص البيئة باعتبار أن اقتناء الأشجار والنباتات النادرة ثقافة سلوكية لا يمكن أن تختص بها الإدارة الملكية دون أن تمتد هذه الثقافة لتسود الشعب على امتداد الرقعة الزراعية. كما أن اعتبار النباتات النادرة فى مصاف الهدايا النفيسة أمر حضارى لا يمكن أن يكون منشأة شخص الملكة بمحدوديته. إذ إن المنطق المتداول لابد وأن يخص مجموعة عريضة من الشعب ليستوفى تقبل هذا السلوك بمعايير الاستحسان والتقدير العام.

أما الأمر الثانى، فإنما يخص أثر الحروب السلبى على البيئة وعكس هذا من أثر إيجابى لاستمرار السلام عبر القرون من واقع الرضا والتراضى والانضمام لدولة أكبر، من منطلق حق المواطنة الكامل والمشاركة فى العمل الوطنى دون ثمة تفرقة للون والجنس والمنشأ والتوجه، لتستمر تلك العلاقة المتوازنة المتكافئة عبر السنين دون ثمة منغصات بين أطرافه ممن أصبحوا بفضل الملكة حتشبسوت أبناء لوطن واحد. وليت صراعات اليوم وحروبه تدار بمثل ما أدارت به الملكة حتشبسوت من حرص على البيئة ورعاية للزرع والضرع والإنسان والحفاظ على قيم الكرامة والصحة وسعادة الفرد ورضاه بل وجودة الحياة على أرض الوطن وجميعها مترادفات لا تنفصل عن بعضها فى منظومة البيئة بمفهومها المتكامل والصحيح، بمعنى أن كل صفة من تلك لها أثرها الإيجابى على البيئة وغيابها له أثره السلبى على البيئة بدون أدنى شك.

www.naderriad.com

جريدة العالم اليوم (صفحة ١٣ - ٢٠٠٩/١/٢٥)

العالم اليوم